عثمان يامر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم وقيل المراد كل
عبد موصوف بهذه الصفة المذمومة وكل حر موصوف بتلك الصفات
الحميدة وهذا القول كما قال الرازي اولى من الاول لان وصفه تعالى اياهما
بكونهما رجلين يمنع من حمل ذلك على الوثن وكذلك بالبكم وبالكل وبعدم
التوجه في جهات المنافع وكذلك وصف الاخر بانه على صراط مستقيم
يمنع من حمله على الله تعالى وايضا المقصود تشبيه صورة بصورة في امر
من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدى الصورتين مغايرة
للاخرى واما القول الثاني فضعيف ايضا لان المقصود ابانة التفرقة
بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك غير مختص بشخص معين
بل انما حصل التفاوت بالصفات المذكورة فان الله انما جعل المقصود ثم وصف
سبحانه وتعالى نفسه بكمال العلم بقوله تعالى ولله اي لا لغيره غيب السموات
والارض وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل
عليه محسوس وقيل الغيب هنا هو قيام الساعة فان علمها غائب عن
اهل السموات والارض منهم ووصف سبحانه وتعالى كمال قدرته بقوله
تعالى وما امر الساعة وهو الوقت الذي يكون فيه البعث الا كلمح
البصر اي الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها والمعنى وما امر
قيام الساعة في السرعة والسهولة الا كطرف العين والمراد منه
تقرير كمال القدرة ومعنى قوله تعالى او هو اقرب اذ لمح البصر عبارة
عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولا
شك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء فلمح البصر عبارة عن المرور على جملة
تلك الاجزاء التي منها تألف الحدقة ولا شك ان تلك الاجزاء كثيرة
والازمان التي يحصل فيها لمح البصر مركبة من آنات متعاقبة والله
تعالى قادر على اقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات فلذلك
قال

٨

قال او هو اقرب الا انه لما كان اسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وافكارنا
هو لمح البصر لا جرم ذكره ثم قال او هو اقرب تنبيها على ما مر ولا نزاع
في انه ليس المراد طريقة الشك والمراد اذا بل هو اقرب وقال الزجاج
المراد به الابهام على المخاطبين لان الله تعالى ياتي بالساعة اما بقدر لمح
البصر او بما هو اسرع وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند
الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة كقوله تعالى
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ان الله اي الملك الاعظم على
كل شيء قدير فيقدر على ان يحيي الخلائق دفعة واحدة كما قدر على احيائهم
فانه تعالى مهما اراده كان في اسرع ما يكون ثم انه عاد الى الدلائل
الدالة على وجود الصانع المختار فعطف على قوله تعالى والله جعل لكم
من انفسكم ازواجا قوله تعالى والله اي الذي له العظمة كلها اخرجكم بقدرته
وعلمه من بطون امهاتكم حال كونكم عند الاخراج لا تعلمون شيئا شيئا من
الاشياء قل او جل فالذي اخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطون
الارض بلا فرق بل بطريق الاولى وقرا حمزة والكسائي بكسر الهمزة
والباقون بضمها وقرا حمزة بكسر الميم والباقون بفتحها ثم عطف على اخرجكم
قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الات لازالة الجهل الذي
وقعت الولادة عليه وفتق مواضعها وسواها وعدلها وانتم في البطون
حيث لا تصل اليه يد ولا يتمكن من شق شيء منه بآلة فالذي قدر على
ذلك في البطن ابتداء قادر على اعادته في بطن الارض بطريق
الاولى قال البقاعي ولعله تعالى جمعهما اي الابصار والافئدة دون السمع
لان التفاوت فيهما اكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله تعالى والافئدة
هي القلوب التي هيأها الله تعالى لفهم واصلاح البدن بما اودعها من
الحرارة اللطيفة للمعاني الدقيقة لعلكم تشكرون اي لتصيروا بمعارف

Copyright King Saud University